التَّكَاثُرُ الْمَذْمُومُ وَعِلَاجُهُ
فِي ضَوْءِ سُورَةِ التَّكَاثُرِ

إِعْدادُ:

د. سميرة بنت محمد جالية

أُسْتَاذِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ الْمُشَارِكِ بِجَامِعَةِ الْأَمِيرَةِ نُورَة بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمنِ كُلِّيَّةِ الْآدَابِ قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

المقدمة

الحمد الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتفرد بالجلال والكمال على التفصيل والإجمال، أحمده سبحانه، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على الهادي الأمين، أعرف الخلق بربه، وأكثرهم خشية له، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالمتأمل في سير الناس يجد انغماسًا في ملذات الدنيا وشهواتها، رغم ما ورد في القرآن الكريم من التحذير من الاغترار بها وبمتاعها الزائل؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾[1]، فالدنيا بمغرياتها وشهواتها ومفاتنها وملذاتها جُعِلَتْ ليُمتحن الإنسان ويُبتلى بها، فإن هو أخذ نصيبه من الحياة الدنيا ضمن الحدود التي أذن الله بها، وقلبه معلق بما أعد الله تعالى للمتقين في الدار الآخرة، فوجَّه معظم طاقاته وإمكاناته إلى ما يحقق له يوم القيامة مطمعاً أهنأ وأمرأ، فمثل هذا قد نجا من فتنتها، وسلم من الاغترار بها، وأما إذا أقبل عليها العبد إقبالاً لا ضابط له، ولم يتحر ضوابط الشرع فيما يأتي ويذر، قطعت عليه الطريق إلى الله وإلى رضاه –سبحانه وتعالى–.

والله تعالى ما خلق الدنيا إلا وهي سريعة الزوال، فهي محطة عبور وليست منزل حبور، وللأسف لم يعِ هذا الأمر صنف من الناس، وهم أصحاب الهمم الدنيئة الذين يكرسون هممهم للوصول إلى الدنيا فحسب، فاستعظموا

(١) لقمان: ٣٣.

الدنيا ونسو الآخرة.

والتكاثر في متاع الدنيا الفاني، ولذاتها الزائلة، مما أشغل الناس عن الآخرة، حتى أصبح التكاثر في زمننا هذا ظاهرة ابتلي بها كثير من الناس، وما خلفته يحمل في طياته أضراراً كثيرةً.

ومما ساعد على الانغماس في هذه الظاهرة: وسائل التواصل الاجتماعي بقنواتها المتعددة، حيث أصبح الناس من خلالها يكاثرون في أمور عجيبة، فترى بعضهم يكاثر في أنواع المطاعم، والملابس، وسائر الكماليات على اختلاف أنواعها ومسمياتها، وهذا ما دفعني لدراسة موضوع التكاثر المذموم وعلاجه في ضوء سورة التكاثر، والتي نددت بحالة اتخاذ الحياة الدنيا هدفاً بذاتها، والتكاثر بزخارفها الزائلة من مال، وأولاد، وسلطان، وقوة، والاستغراق بالتعلق بمتاعها المحدود، فهذه السورة تحمل دعوة صريحة مدوية للسادرين في غيهم، والتائهين عن درب الحق، والمخدوعين بالمظاهر الزائفة: أن يستيقظوا من غفلتهم؛ ليتذكروا أن الدنيا شوط قصير ينتهي إلى الآخرة التي هي الحياة الباقية التي سيؤول إليها العباد.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

فأما المقدمة فأشرت فيها إلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطتي في تناوله وطرحه.

والتمهيد: ويشتمل على التعريف بالسورة الكريمة.

والمبحث الأول: التكاثر وأنواعه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التكاثر في الأموال.

المطلب الثاني: التكاثر في الأولاد.

المبحث الثاني: التكاثر ووسائل التواصل الاجتماعي.

المبحث الثالث: علاج التكاثر في ضوء السورة الكريمة وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من مغبة التكاثر.

المطلب الثاني: المصير الحتمي.

المطلب الثالث: زجر وردع ووعيد.

المطلب الرابع: السؤال والمحاسبة.

الخاتمة: وتشمل على النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالسورة

سورة التكاثر مكية في قول جميع المفسرين، وهي ثمان آيات(١).

قال ابن عاشور: «وهي مكية عند الجمهور»(٢).

وقال ابن عطية: «هي مكية لا أعلم فيها خلافاً»(٣).

ورجح السيوطي في «الإتقان»: أنها مدنية، فقال: «الأشهر أنها مكية ويدل لكونها مدنية – وهو المختار – ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا. . . الحديث، وأخرج عن قتادة أنها نزلت في اليهود. . . . وأخرج الترمذي عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت. وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية»(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م (١٦٨/٢٠) .

(٢) التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، طبع: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ (٥١٧/٣٠) .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٥١٨/٥) .

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م =

والذي يظهر من معاني السورة وغلظة وعيدها أنها مكية وأن المخاطب بها فريق من المشركين لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين أيامئذٍ[١].

أسماؤها:

- **سُمِّيتْ بسورة التكاثر في معظم المصاحف، وكتب التفسير، وهو الاسم الأكثر شهرة لها.**
- **وسمِّيتْ: (سورة ألهاكم) بدون (التكاثر)، وممن سماها بذلك: الطبري[٢]، والعز بن عبد السلام[٣]، والقرطبي[٤].**
- **وسميت كذلك بـ: سورة المقبرة، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم ورود لفظ المقابر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ قال الألوسي: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ كما أخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن أبي هلال يسمونها المقبرة»[٥].**

= (٥٤/١، ٥٥) .

(١) التحرير والتنوير (٥١٨/٣٠) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م (٥٧٧/٢٤) ، لكن في تفسير الطبري، طبع: دار هجر (٢٤/ ٥٢٨) ورد فيها (سورة التكاثر) .

(٣) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، طبع: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م (٤٨٣/٣) .

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٠١/٥) .

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، =

سبب النزول:

جاء في تفسير القرطبي: «قال ابن عباس ومقاتل والكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حي منهم: نحن أكثر سيداً، وأعز عزيزاً، وأعظم نفراً، وأكثر عائذاً، فكثر بنو عبد مناف سهماً. ثم تكاثروا بالأموات، فكثرتهم سهم، فنزلت ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ بأحيائكم فلم ترضوا ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ مفتخرين بالأموات. وروى سعيد عن قتادة قال: كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم. وعن عمرو بن دينار: حلف أن هذه السورة نزلت في التجار. وعن شيبان عن قتادة قال: نزلت في أهل الكتاب». قال الإمام القرطبي – رحمه الله – بعد أن أورد ما سبق من أقوال: «الآية تعم جميع ما ذكر وغيره»[1].

مقصود السورة:

يدور محور السورة حول انشغال النّاس بمغريات الحياة، وتكالبهم على جمع حطّام الدّنيا، حتّى يقطع الموت عليهم متعتهم، ويأتيهم فجأةً وبغتةً، فينقلهم من القصور إلى القبور، وقد تكرّر في هذه السُّورة الزّجر والإنذار؛

= تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ (٤٥١/١٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦٨/٢٠، ١٦٩).

تخويفًا للنّاس، وتنبيهاً لهم على خطئهم، باشتغالهم بالفانية "الدُّنيا" عن الباقية "الآخرة" ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ وختمت السّورة الكريمة ببيان المخاطر والأهوال الّتي لا يجوزها ولا ينجو منها إلاّ المؤمن الّذي قدّم صالح الأعمال.

قال البقاعي: «سورة التكاثر، مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم الجمع، الذي صورته القارعة: الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال، واسمها واضح الدلالة على ذلك»(١).

ومن مقصود السّورة ذم المقبلين على الدنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أن عاقبة الكل الموت والزوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعد للمشمولين المذلة والسؤال والحساب والوبال، في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾(٢).

اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك، وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم، وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم(٣).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٢٢/٢٢٥) .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، عبد الله محمود شحاتة، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ (٤/٨١٧) .

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/٥١٨) .

مناسبتها لما قبلها:

جاء في سورة القارعة وصْف القيامة وبعض أهوالها، وجزاء الأخيار والأشرار، وفي هذه السورة جاء ما يُناسب ذلك وهو ذكر الجَحيم، وهو قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾، وهي: (الهاوية) التي ذُكرت في القارعة، كذلك بدأت السورة بذكر السبب الرئيس في الوقوع في (الهاوية)، وهو حب الدنيا والانشغال بها وبنعيمها عن الآخرة، في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ ثم جاء الوعيد وذكر السؤال عما قدَّم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، والسؤال عن النعيم بقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾، وهذا بعض أحوال الآخرة[1].

(١) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (٢٢٨/٣٠) .

المبحث الأول: التكاثر وأنواعه

قد يكون للتكاثر في بعض الأمور خير عظيم كما في أمور الآخرة، فيكثر الإنسان من الصدقات، ويكثر من العبادات، وهكذا، بل حتى في بعض أمور الدنيا إذا أكثر منها بقصد صحيح، كان له بذلك أجر، ومثاله: قول النبي ﷺ: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)(١).

فحثنا النبي ﷺ على تكثير النسل؛ لأن كثرة الأمة عز لها، ورهبة لأعدائها.

وفي مقابل ذلك التكاثر، تكاثرٌ مذموم، أورد الناس مهالك شتى، ومنه: التفاخُر بالقبائل والعشائر والجاه؛ كقوله تعالى عن صاحب الجنة: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤]، وأعزُّ نفرًا أي: أكثر عددًا، ومنه: التشاغل بالمعاش والتجارة، وحب الدنيا ونعيمها

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠) (٢/٢٢٠) كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء؛ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، وابن حبان في صحيحه (٤٠٥٦) (٩/٣٦٣) كتاب النكاح، ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد، من حديث معقل بن يسار ﷺ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه: «إسناده قوي» ؛ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، وقال الألباني في صحيح أبي داود، طبع: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م (١٧٨٩) (٦/٢٩١) : «إسناده حسن صحيح، وصححه الحاكم والذهبي، وصححه الحافظ ابن حبان من حديث أنس، وحسنه الهيثمي» .

وزهرتها، وكل ما هو صالح للتكاثُر به من بناءٍ وغراس؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال ابن القيم – رحمه الله –: «فالتكاثر فِي كل شَيْء من مَال أَو جاه أَو رياسة أَو نسْوَة أَو حَدِيث أَو علم ولا سيما إذا لم يحتج إليه والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومسابقة إليها»(١).

فالتكاثر الذي يشغل عن الله والدار الآخرة، قد يكون في أشياء مادية من الأموال والمراكب، والأثاث وغيرها، وقد يكون في أشياء معنوية، بل قد يكون في أمور مما ظاهره العلم، كمسائل الفقه، وطرق الحديث؛ ولذلك فإنه ينبغي لطالب العلم أن ينتبه من قضية التكاثر هذه، ومن لطيف ما ورد في هذا المعنى ما جاء عن حمزة بن محمد بن علي الكناني قال: «خرجت حديثاً واحداً عن النبي ﷺ من مائتي طريق، قال: فداخلني من ذلك من الفرح غير قليل، وأعجبت بذلك، قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام، فقلت له: يا أبا زكريا – وهي كنية يحيى بن معين– خرجت حديثاً واحداً عن النبي ﷺ

(١) الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م (ص٣٠، ٣١) .

من مائتي طريق قال: فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن يدخل هذا تحت: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾»[(١)].

وهكذا يجمع بعض الناس الكتب لا يفيد منها، ولا يحدث له إلا المضرة بالمفاخرة بكثرتها، وكذلك تكاثر الداعية بمن حوله، وقد لقن الله المؤمنين درساً عظيماً في غزوة حنين، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ﴾ [التوبة: ٢٥]، فكانت تلك الكثرة وبالاً في أول الأمر حتى لا يكون للصحابة تعلق بهذه القضية، وإنما يتذكرون النوع أكثر مما يتذكرون الكم.

وقد يكون التكاثر المذموم على مستوى بعض الطائعين بكثرة الأتباع، وقد يحصل في العلماء وطلبة العلم؛ ولذلك كان السلف يحاربون ذلك أشد المحاربة.

قال حماد بن زيد: كنت أمشي مع أيوب[(٢)] فيأخذ في طرق – إني لأعجب له كيف يهتدي لها – فراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب[(٣)].

(١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م (١٩٨٨) (٢/١٠٣٤) .

(٢) هو أيوب بن أبي تميمة السختياني.

(٣) صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م (٥٢٦) (٢/١٧٣) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي – رحمه الله –: كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس، فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء، فلا تعد إليه، فما عدت إليه(١).

وهكذا كان السلف الصالح يحذرون الكثرة التي تفضي إلى الاغترار، وتفسد القلوب، وتعكر صفو النفس، وتشغل عن الآخرة.

وسوف أُركز الحديثَ فيما يلي على أبرز ما يتكاثر به المتكاثرون مما يشغل عن الله والدار الآخرة، وهو التكاثر والتفاخر في الأموال والأولاد، وذلك من خلال مطلبين أساسيين، وهما:

المطلب الأول: التكاثر بالأموال

إن حب المال والتعلق الشديد به لدرجة الإلهاء عن الطاعة والواجبات من أكثر المفاتن التي تؤدي بصاحبها إلى دنو الهمة، والتعلق بسفاسف الأمور، علماً بأن حب المال متأصلٌ في النفس الإنسانية، فالإنسان مفطور على ذلك، وإن كان الناس يتفاوتون في هذا الأمر، يقول تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ [الفجر: ٢٠]، قال الإمام البغوي – رحمه الله –: «أي: كثيراً، يعني: يحبون جمع المال ويولعون به، يقال: جم الماء في الحوض إذا كثر واجتمع»(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م (١٩٦/٩).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، =

فهذا الحب والحرص الشديد يمنع الإنسان المسلم من المشاركة والمبادرة وإعلاء الهمة في البذل والعطاء، ومما بُيِّنُ لنا أن المال محبوب للنفوس، قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر: ٢٠].

يقول السعدي –رحمه الله–: «﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلاً كان أو كثيراً، أي: أعطى المال ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: حب المال، بيَّن به أن المال محبوب للنفوس، فلا يكاد يخرجه العبد، فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى، كان هذا برهاناً لإيمانه، ومن إيتاء المال على حبه، أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل، لأنه في هذه الحال، يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر.

وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه»(١).

= تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٥/٢٥٢) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ (٤/٤٢٧) .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد =

فالحرص على المال من أسباب دنو الهمة والعزيمة، فالحريص على ماله لا ينفق في سبيل الله، ولا يتصدق، حتى إنه لا يكاد يخرج زكاة ماله، وقد يحتال على شرع الله ولا يخرجها، فهذه الصفة ذميمة في النفس البشرية لا ينجو منها إلا من أراد أن يعلي همته، ويكون اهتمامه لا ينصب إلا في معالي الأمور وأشرفها.

ومن أحب المال أصبح المال شغله الشاغل، وأصبح لا يفكر إلا في كفيفة جمعه وكنزه؟ ومن أي طريق يحصل عليه؟ فيستخدم كل الطرق للوصول إلى المال، سواء أكانت طرق الحصول على المال حلالاً أم حرامًا؟ ؛ يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩].

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة»[(١)].

= الرحمن ابن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م (ص ٨٣) .

(١) تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (١٣٣/٨) .

ومن المعلوم أن فتن الدنيا كثيرة، لكن الأموال أعظم فتنها، وأعظم فتنة فيها أنها لا غنى لأحد عنها، فإن وجد المال حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً، وإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً، ورغم ذلك فإنه ليس مذموماً ومرفوضاً البتة، بل إن الله قد جعل المال مدداً في مواضع في كتابه، لقوله تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٢]، والأصل أن الإنسان يجعل هذا المال وسيلة للوصول إلى الكمال في الدنيا والآخرة، فيجعل المال سبباً من أسباب علو همته ورقيه للمعالي، إذا كان أخذه للمال من حلال، وبوسطية واعتدال، وإنفاقه له في حقه، وفي طاعة ربه.

أما إن انهمك في طلبه، وانشغل به عن طاعة ربه، وقاده طلبه وحرصه إلى الوقوع في المخالفات والمحرمات، وآثر العاجلة على الآجلة، وجره إلى الاسترسال في الدعة واطراح الجد؛ إن حصل هذا يصبح عندها مذموماً.

وهذا مثل ما حصل مع قارون، وهو رجل من بني إسرائيل، كان ممن آمن بموسى وحفظ التوراة وكان من أقرأ الناس لها، وكان عند موسى من المؤمنين، ثم إنه لحقه الزهو والإعجاب، فبغى على قومه بأنواع من البغي، من ذلك كفره بموسى واستخفافه به، وظلمه لقومه وبغيه عليهم(١).

يخبر تعالى عن حالة قارون وما فَعل وفُعل به، ونُصح ووُعِظ، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤/٢٩٨) .

أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧]

فقَالَ قارون – رادًّا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه –: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ [القصص: ٧٨]، أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلمَ تنصحوني على ما أعطاني الله تعالى؟ قال تعالى مبينا أن عطاءه، ليس دليلاً على حسن حالة المعطي: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ﴾ [القصص: ٧٨] فما المانع من إهلاك قارون، مع مضي عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟ ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨]، بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولا وليس ذلك دافعا عنهم من العذاب شيئا، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمرا على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحا بطرا قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال(١).

فقصة هارون ذكرها الله – عز وجل – في كتابه ليعين المؤمن، ويعلي همته بالاتعاظ والاعتبار بالفتنة العظيمة وهي فتنة المال، حيث انشغل الناس بجمعه، وتركوا مهمات الأمور، فدنت همتهم، وانشغلوا بالسفاسف التي لا

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٢٢، ٦٢٣) .

تنفعهم، إلا من رحم ربي، فينسى الإنسان بذلك المال حق الله – عز وجل – ويقوده إلى التكبر والبغي والعجب؛ قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦، ٧]، فالعبد لا يستغني عن ربه – عز وجل– طرفة عين، ولكنه بماله يظن أنه استغنى فيطغى على عباد الله ويظلمهم ويتكبر عليهم.

والقصة تتكرر في كل عصر ومصر، فأكثر أصحاب الأموال همهم أن يكثر ماله، فيبخل بزكاته، ويمنع حق الله تعالى من ذلك المال، فشدة حرصهم على المال وحبهم له يجعلهم يجمعونه من الوجوه المباحة وغير المباحة، فمن يتناول من الدنيا قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا، ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشاً، وعلى هذا قيل: الدنيا كالماء المالح، من ازداد منها شرباً ازداد عطشاً[(١)].

وعن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)[(٢)].

---

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (٥١٢/١) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٦) (٥٨٨/٤) كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، وقال: «حديث حسن صحيح» ؛ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ، وإبراهيم عطوة عوض، (جـ ٤، ٥) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، =

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث: «فهذا مثلٌ عظيم جدًّا ضربه النبيُّ ﷺ لفسادِ دينِ المسلم بالحرص عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا، وأن فسادَ الدِّين بذلك ليسَ بدونِ فسادِ الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيا في الغنمِ، وقد غابَ عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلانِ في الغنمِ ويفترسانِ فيها.

ومعلومٌ أنّه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليلٌ، فأخبرَ النبيُّ ﷺ أَنَّ حرصَ المرءِ عَلَى المالِ والشَّرَفِ: إفساده لدينه ليس بأقلّ من إفسادِ الذئبين لهذه الغنمِ؛ بل إمَّا أن يكونَ مساويًا وإما أكثر، يشيرُ إِلَى أنّه لا يسلمُ من دينِ المسلم مع حرصِهِ عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا إلا القليل، كما أنّه لا يسلمُ من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثلُ العظيمُ يتضمن غاية التَّحذيرِ من شرِّ الحرصِ عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا. فأمَّا الحرصُ عَلَى المالِ فهو عَلَى نوعين:

أحدهما: شدةُ محبةِ المال مع شدةِ طلبِهِ من وجوهه المباحةِ، والمبالغة في طلبِهِ والجدِّ في تحصيلِهِ واكتسابِهِ من وجوهه مع الجهدِ والمشقةِ. . . ولو لم يكنْ في الحرص عَلَى المال إلاَّ تضييعُ العمرِ الشَّريفِ الَّذِي لا قيمةَ له، وقد كان يمكنُ صاحبه اكتساب الدرجات العلى والنَّعيم المقيم، فضيَّعَه الحريص

= الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، ورواه ابن حبان في صحيحه (٣٢٢٨) (٢٤/٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم» ، كما صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، طبعة: المكتب الإسلامي (٥٦٢٠) (٩٨٣/٢) .

في طلب رزقٍ مضمونٍ، مقسومٍ لا يأتي منه إلا ما قُدِّرَ وَقُسِّمَ، ثم لا ينتفعُ به؛ بل يتركُه لغيرهِ ويرتحل عنه، ويبقى حسابُه عليه ونفعُه لغيره، فيجمعُ لمن لا يحمدُه، ويقدم عَلَى من لا يعذرُه، لكفى بذلك ذَمًّا للحرصِ»[(١)].

والمال فتنة، فقد قال رسول الله ﷺ: (إنَّ لكلِّ أمةٍ فتنةً، وإن فتنة أمتي المال)[(٢)]**، ونحن في زمن الماديات، وصراع الناس على الكماليات، وهموم الناس الدنيئة التي خرَّبت قلوبهم وعلاقتهم بربهم في زمن التعاسة؛ (تعِسَ عبدُ الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعْطِي رضي وإن لم يُعْطَ لم يَرْضَ)**[(٣)].

(١) رسالة شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م (٦٥/١) .

(٢) رواه أحمد (١٧٤٧١) ؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، والترمذي (٢٣٣٦) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، وابن حبان (٣٢٢٣) من حديث كعب بن عياض ﷺ، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: «حديثٌ صحيحٌ غريب» .

(٣) رواه البخاري (٦٤٣٥) (٩٢/٨) كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، من حديث أبي هريرة ﷺ؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

وعلى الإنسان أن يتخلص من مرض الشح والبخل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦]، وينبغي ألا يكون للدنيا أيُّ قيمة في قلب الإنسان، فهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فلا يفرح بإقبالها، ولا يحزن على إدبارها، لأنه عبد للمعطي المانع، الذي بيده خزائن السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

وكل هذه المفاتن تجرد العبد من همته إن اتبعها، وإن سار خلفها، فالدنيا ما هي إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

والمراد بحب الدنيا المذموم: أن يرضى بالحياة الدنيا ويستحبها على الآخرة، فلا يسعى ولا يعمل لما بعد الموت، فيتعلق القلب بالدنيا وبمتاعها وشهواتها، ويغفل عن الدار الآخرة.

فالمقصود أن تجعل الدنيا مزرعة تحصد ثمارها في الآخرة، يصرف الدنيا في طاعة الله تعالى، والعمل الصالح، وعمارتها حسب ما أمر الحق تبارك وتعالى من الاستحلاف فيها، بما ينفع الدين والدنيا.

ومن الأمثلة على ذلك: أن الدنيا زينة ومتاع، فقد ورد في القرآن الكريم

من الآيات ما تبين خطر الدنيا، وما فيها من المتاع والشهوات، فهي واحدة من الموانع التي تمنع عن عمل الصالحات والتقرب إلى المولى جل وعلا بالطاعات.

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك عن الدنيا في معرض الذم، وبين أن ما فيها من زينة ومتاع ما هو إلا فتنة للناس وابتلاء لهم، فمن أخذ بما فيها من الحلال وترك المحرمات، ولم تلهه المباحات عن فعل الطاعات كان من الفائزين، ومن كانت الدنيا همه كان من الخاسرين؛ قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]، ففي هذه الآية يخبر الحق تبارك وتعالى عما زُيِّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ، من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب، والفضة، وغيرها من متاع الدنيا.

(إن الاستغراق في شهوات الدنيا، ورغائب النفوس، ودوافع الميول الفطرية، هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار ويدفع بالناس إلى الغرق في لجة اللذائذ القريبة المحسوسة، ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى، ويغلظ الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة، ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض، واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض)[1].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ (٣٧٣/١) .

وبين سبحانه وتعالى أن الأعمال الصالحات هي التي تبقى، وهي النفع الحقيقي، وما عداه من متاع الدنيا وزينتها زائل لا نفع فيه، وكان هذا بعد بيان حقيقة الحياة الدنيا، وبيان حقارتها، وزوالها وفنائها، بضرب المثل، كما ورد في مواطن كثيرة في كتاب الله تعالى، فقد قال سبحانه وتعالى في الحديث عن الدنيا: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦]. ففي هذه الآية ردٌ على الرؤساء وطلاب الدنيا الذين يفتخرون بالمال والغنى والأبناء، فأخبرهم سبحانه أن ذلك مما يُتزيَّن به في الدنيا لا مما ينفع في الآخرة، وبيان أن أعمال الخير أفضل من هذه الزينة بالمال والبنين ثواباً، وأكثر عائدة ومنفعة لأهلها، فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا لا غير، يتجمل بها الإنسان ساعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحان همَّ الإنسان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال(١).

فالدنيا يتزين بها الإنسان، وهي تفنى وتزول، وأعمال الخيرات من صيام وصلاة وقيام وحج وغيرها هي التي تبقى، وهي النفع، والاشتغال بها لا شك أنه من أفضل ما يتقرب به المرء إلى الله تعالى، لكن الدنيا بمتاعها وشهواتها تصد الإنسان عن هذا الفعل العظيم، وتضع أمامه الكثير من العوائق والعراقيل التي تمنعه عن هذا الخير الكثير والأجر العظيم، فيحتاج إلى التوبة والاستغفار والندم

(١) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م (٣/٢٦١) .

على ما صار منه من الذنوب والمعاصي.

ولا شك أن ترك متاع الدنيا وملذاتها طاعة لله والتزاماً بأمره يعوض عنه في الآخرة متاعاً أعلى وأخلد وأبقى، في جنة عرضها السموات والأرض، فهي المتاع الحقيقي الذي ينبغي على العاقل الحرص عليه.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: ٢٨].

قال أبو جعفر – رحمه الله –: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واعلموا، أيها المؤمنون، أنما أموالكم التي خوَّلكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾ يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أمولكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا. وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها، تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم»[(١)].

والسبب في ذلك كما ذكر أبو السعود في تفسيره: أنها سببُ الوقوعِ في الإثم والعقاب، أو محنةٌ من الله عز وجل، ويكون الأجر العظيم لمن آثر رضا الله تعالى عليها وراعى حدوده فيهما[(٢)].

وقد بين الله تعالى لعبادة المفاتن الدنيوية، وحذر من الاشتغال بها في

(١) جامع البيان (٤٨٦/١٣) .

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٨/٤) .

خطابات قرآنية كثيرة، وقد أجملها الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية في حب المال والأولاد وغيرها من المفاتن، إن كانت عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله، ومن المجاهدة في سبيل الله، وطغى هذا الحب على حب الله ورسوله فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبة عاجلة أو آجلة، والمقصود منه الوعيد(١).

المطلب الثاني: التكاثر بالأولاد

التكاثر في الأموال والأولاد ما يَشغَل بني آدم، ولكن ذلك كله ليس إلا متاع الغرور فهو يُغري صاحبَه ليَغُرَّه حتى يسعى إليه، فإذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده ليُوفِّيه حسابَه، وقد حذَّرنا القرآن الكريم في أكثر من موضِع من الافتتان بالمال والولد، وأخبر أنهم قد يكونون أعداء لنا وأنه يجب علينا الحذر منهم في هذه الحالة؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ (١٧/١٦).

عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن: ١٤، ١٥]، سماهم أعداء لأنهم يشغلونهم عن الخير، ويدخل في ذلك سبب النزول دخولاً أوّلياً، وهو أن رجالاً من مكة أسلموا، وأرادوا أن يهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم ولا أولادهم، فأمر الله سبحانه وتعالى بأن يحذروهم، فلا يطيعوهم في شيء مما يريدونه منهم مما فيه مخالفة لما يريده الله، فالأولاد والأموال بلاء واختبار ومحنة، فقد يحملون المرء على كسب الحرام ومنع حق الله تعالى، فمنهم من يكون عوناً على طاعة الله، ومنهم من يكون عدواً يصرف عن طاعة الله تعالى والتزود للدار الآخرة، وقد ينازعونكم في دينكم ودنياكم فيمنعونكم عن الخير، فكونوا على حذر أي كونوا منهم على حذر أن تُطيعوهم في التخلف عن فعل الخير من هجرة وجهاد وغيرهما[(١)].

ومنه قوله ﷺ: «إن الولد مبخلة مجبنة»[(٢)]، فالولد سبب من أسباب

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٥٦/٣٠) ، وفتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (٢٨٤/٥) ، وأيسر التفاسير، للجزائري (٣٦٨/٥) .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٦٦) (١٢٠٩/٢) كتاب الأدب، باب بر الوالد، والإحسان إلى البنات؛ سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، وأحمد في المسند (١٧٥٦٢) (١٠٤/٢٩) ، والحاكم في المستدرك (٥٢٨٤) (٣٣٥/٣) ؛ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٩٩٠) (٤٠٠/١) .

حصول البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله، وكذلك سبب من أسباب الجبن والقعود عن الجهاد في سبيله سبحانه، فبسبب حب الأولاد يمسك المال، ويتقاعد عن الغزوات، فهم محل لتحصيل البخل والجبن.

وتقدم قول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٦]، وأروع ما في الآية أن المال وحده لا يعد زينة، وأن البنين وحدهم لا يُعدون زينة، لكن المال والبنين زينة الحياة الدنيا.

والباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة التي تبقى، فالمال يذهب ويفنى، والأولاد يتفرقون، لكن الذي يبقى هو العمل الصالح، وحينما قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أشار بهذه الكلمة إلى العمل الصالح، فإذا كان العمل الصالح يبقى فالمال والبنون يذهبان.

والأبناء نعمة من الله ينبغي أن نشكر الله عليها وألا نفخر بها؛ لأنها مُنعت عن غيرنا، ولأن التكاثر والتفاخر الزائد بعددهم أو نجاحهم أو وظائفهم في أماكن مرموقة قد يجر لهم كثير من الويلات، فقد تصيبهم عين حسد فيمرضون، أو يفقدون وظائفهم، أو يفشلون ويتدنى مستواهم الأكاديمي، فبدلاً من ذلك يجب الاهتمام بهم، ورعايتهم، وحسن تربيتهم على طاعة ربهم، وتوجيههم لما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، والمحافظة عليهم.

التباهي بالأبناء عند بعض الناس، والتباهي بالآباء – عند غالبهم – بأصولهم وعائلاتهم ومكانتهم في المجتمع، ويعتقدون أنهم يزيدون من ثقتهم في أنفسهم، ويزداد حد التباهي الى درجه أن المتباهي يمنح لنفسه أفضلية عمن حوله، سواء

في الأصل أو مستوى الثراء، ولا يكتفون بهذا، وبعضهم يتباهون بالجامعات والتخصصات والتحصيل الأكاديمي، أو السفر لإحدى الدول، أو امتلاكهم للمال، وهذا ما يجلب الحسد عليهم، وقد كثرت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة في كثير من المجتمعات.

والتكاثر المذموم سمة من يشعر بالضعف والنقص، فهي مرض نفسي يصيب بعض الأشخاص.

المبحث الثاني: التكاثر ووسائل التواصل الاجتماعي

مما ساعد على انتشار ظاهرة التكاثر والتفاخر المذموم: وسائل التواصل الاجتماعي، حيث استغلت فئة من المجتمع ذلك بممارسة سلوكيات اجتماعية مستهجنة كسرت بها معايير المجتمع الأصلية، وقيمه الدينية الفضيلة، مثل ما تناقلته وسائل التواصل الاجتماعية من مقاطع الفيديو من صور الإفساد بالمال، والإسراف في النعم، كمقطع غسل اليدين بدهن العود! ، وتخصيص ذبيحة كاملة لكل ضيف! ، أو ذلك المقطع الذي يظهر فيه مواطن يصور ناقته وهي تأكل أمواله! ! ، وضعها من باب التفاخر والبذخ والتباهي! ! ، وغيرها من مقاطع الجهل المركب، والاستهتار بالنعم، بل كفرها وعدم شكرها، والإسراف المذموم الذي لا يقبله دين ولا عقل.

وفي السنوات الأخيرة أصبحت العقلية الاستهلاكية المتباهية هي الثقافة المهيمنة على سلوك وفكر وممارسات بعض إفراد المجتمع، في ظل ضعف الوازع الديني، وغياب الوعي الاستهلاكي الرشيد.

ولا شك أن ارتفاع معدلات الاستهلاك الترفي في مجتمعنا الذي يصل حد الإسراف، ومظاهر التبذير، كل ذلك يمثل مرضاً من الأمراض الاجتماعية والاقتصادية، فبعض الأفراد ينفق المال على سلع كمالية، وفي مناسبات غير ضرورية بقصد التباهي، وحب الظهور، وتعويض نقص اجتماعي مركب، والإفراط والإسراف في الأكل والملبس والمشرب بصورة تخالف قواعد الضبط الأخلاقي والديني والاجتماعي، لدرجة أن حُمَّى الاستهلاك التفاخري طالت حتى أصحاب الدخل المحدود، في سبيل مجاراة النمط العام!.

وبالذات مع ظهور وسائل وشبكات التواصل الاجتماعي التي شجعت وحفزت على قيام بعض السفهاء بمظاهر المباهاة والتفاخر الجاهلي في البذخ والتبذير والإسراف، ونشر مقاطعهم الزائفة بحثاً عن الطريق الأقصر لإشباع رغباتهم الرخيصة، والأسهل للصعود لسلم الشهرة والتباهي الانهزامي أمام الرأي العام الاجتماعي.

ومن الأمثلة أيضاً: التكاثر في المتابعين وعددهم! ، كم يتابعه في هذا الحساب؟! ، فهو دائماً ينظر هل ازدادوا أم لا، وهذه قضية خطيرة تقدح في إخلاص الإنسان، وهو حب الظهور والشهرة والرئاسة، وأن يُعْرَف وأن يُذكر، والسلف كانوا يخافون من هذا أشد الخوف، كما سبق الإشارة إليه.

فكيف بنا معشر المساكين الضعفاء مع قلة البضاعة من العلم والعمل، ونفرح بأعداد المتابعين؟!.

فالتكاثر المذموم أصبح سمة كثيرين، سواء بقصد أو بدونه، وتحول إلى داء أجبر المجتمع بأكمله على مجاراته، حتى لو تخطى الأمر طاقات العائلات، وأجبرها على استدانة المال، من أجل السفر إلى الخارج، والمفاخرة بالتقاط الصور!، وليس هذا فحسب، بل أصبحنا ننفق الكثير والكثير من الأموال لتزيين هذه الصور الاستعراضية في مواقع التواصل الاجتماعي، كتزيين سفر واستعراض ماركات الملابس! ! تلك الكذبة التي افتعلها التجار وصدقها الناس.

لقد كان الناس يشترون للحاجة، واليوم يشترون للتصوير والمباهاة! !، وهذا بالضبط ما قاله ذلك الرجل – فيما حكاه الله تعالى –: ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤]، وكانت النتيجة: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ

يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢].

فالاستعراض بالصور قد يكون الغرض منه التباهي والتفاخر، وقد يكون هناك نقص في داخل النفس يحاول صاحب الصور تعويضه بعرضها! !، وكلاهما نقص لا كمال.

بل إن الأمر تخطى حدود المعقول لدى كثير من الفتيات، اللواتي يصل بهن الأمر إلى تغيير أثاث منازلهن بلا أي داعٍ! ! ، والاقتراض من أجل تحقيق أمنياتهن بالسفر! ! ، والحصول على صور يرسلنها وينشرنها في مواقع التواصل الاجتماعي! !.

فإلى كل مَن ابتلي بالمفاخرة وتصوير المنزل والسيارة والأبناء والأكل، ونشرها في مواقع التواصل الاجتماعي – إليكم – ما قاله الإمام ابن حزم الأندلسي– رحمه الله –«كم رأينا من فاخر بما عنده من المتاع فكان ذلك سببا لهلاكه فإياك وهذا الباب الذي هو ضر محض لا منفعة فيه أصلاً»(١).

فمن اشتغل بطاعة الله أشغله الله بطاعته، لا بمغريات الحياة وملهياتها، وإشراك الناس في الخصوصيات نوع من الاشتغال بالحياة الدنيا، وتعلق القلوب بها، والتي حذر الله عز وجل منها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م (ص ٨٢) .

لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٤].

قال الإمام البغوي – رحمه الله –: «اللهو هو: الاستمتاع بلذات الدنيا، واللعب: العبث، سميت بهما لأنها فانية ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ ﴾ أي: الحياة الدائمة الباقية، والحيوان: بمعنى الحياة، أي: فيها الحياة الدائمة، ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ فناء الدنيا وبقاء الآخرة»[(١)].

لو تدبرنا في هذه الآية العظيمة ووقفنا معها وقفة صادقه واستشعرناها لعلمنا حقاً حقيقة ما أُعجبنا به ولهثنا وراءَه، فظاهرة التصوير وإطلاع الجميع على الخصوصيات يعد هتكاً للأسرار، إضافة إلى أنها فتنة صامته تشعل شرر الغضب والاحقاد بشكل غير مباشر فهي تنمي الغيرة والحقد في القلوب وايضاً الحسد فكم من مبتلىً ابتلي وحُسد من صوره وضعت في الاستعراض.

قال عمرو بن قيس: كانوا يكرهون أن يعطي الرجل صبيه شيئا فيخرجه فيراه المسكين فيبكي على أهله ويراه اليتيم فيبكي على أهله[(٢)].

ماذا لو نظر عمرو بن قيس لتفاخر أهل زماننا عبر هذه الوسائل المختلفة، فرفقاً بقلوب الآخرين، فليس كل الناس لديهم مما أنعم الله عليك به من تلاحم أسري، أو وفرة مال، أو فرص تنزه وسياحة! !.

وهذا التكاثر وكفران النعم، والتفاخر والتباهي، وكسر قلوب الفقراء وأهل

(١) تفسير البغوي (٥٦٧/٣) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٦٩) (٢٣٩/٧) ؛ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

الحاجات، كل ذلك يُخشى منه زوال النعمة وتحول العافية وفجاءة النقمة وحلول السخط.

وحتى لا تتفاقم قضية الاستهلاك التفاخري، والتكاثر المذموم؛ ينبغي التصدِّي لهذه لها برفع سقف الوعي الاجتماعي بخطورة التباهي بكفر النعم، من خلال تفعيل دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بدءاً من أهم ركيزة تربوية وهي الأسرة، مروراً بالمؤسسات التعليمية والتربوية، وكذلك المؤسسات الإعلامية والثقافية، وأخيراً: المؤسسات الدينية التي تلعب دوراً محورياً وحراكاً تنويرياً في توعية المجتمع بالآثار السلبية والمشكلات الاجتماعية الخطيرة التي تخلفها قضية التكاثر والمباهاة الممقوتة، مع ضرورة ردع مثل هذه الممارسات الجاهلية بِسَنِّ أنظمة وقوانين صارمة تُجَرِّم سلوكيات التبذير والإسراف والتباهي الاستهلاكي الترفي المرفوض شرعاً وعقلاً.

المبحث الثالث: علاج التكاثر في ضوء السورة الكريمة

المطلب الأول: التحذير من مغبة التكاثر

قول الله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١]، فيه تحذير من مغبَّة الاهتمام بجمع متاع الدنيا وحطامها، ونسيان أنها إلى فَناء، وأن الإنسان ذاته مصيره إلى المقابر والفَناء؛ قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد: ٢٠]، واللهو: كل ما يَصرف عن الجد في العمل، أو يَشغل الإنسان عما يَعنيه ويهمُّه، ويطفئ نور الاستعداد وصفاء الفطرة والعقل، والكمالات المعنوية الباقية.

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ أي شغلكم عما يجب عليكم الاشتغالُ به؛ لأن اللهو شغل يصرف عن تحصيل أمرٍ مهم(١).

أي: شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله، حتى متم ودفنتم في المقابر. وقيل: ألهاكم: أنساكم. التكاثر أي: من الأموال والأولاد، قاله ابن عباس والحسن. وقال قتادة: أي التفاخر بالقبائل والعشائر. وقال الضحاك: أي ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة. يقال: لهيت عن كذا (بالكسر) ألهى لهيا ولهيانا: إذا سلوت عنه، وتركت ذكره، وأضربت عنه. وألهاه: أي شغله. ولهاه به تلهية أي عالله. والتكاثر: المكاثرة(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥١٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٦٨) .

وكل هذه الأقوال صحيحة، ومتداخلة، فالتكاثر يشمل جميع ما ذُكر. وسورة التكاثر تُخاطِب صِنفين من الناس في آن واحد؛ فهي تُخاطِب المؤمن، إذ تَردُّه عن الانشغال بالدنيا عن الآخرة، والتلهي بها عن سؤال ربه له يوم القيامة، فلا يستقيم إيمانٌ بالآخرة دون عملٍ لها، وليس ثمة معنى لاهتمام المرء بالتكاثر من الأموال والأولاد والملذَّات والشهوات دون التكاثر من الأعمال الصالحات إلا تفضيل الدنيا على الآخرة؛ قال ابن عباس – رضي الله عنهما – ﴿التكاثر﴾ «من الأموال والأولاد»(١)، وهي مسألة فطريَّة؛ أن يَستكثِر الإنسان من الأموال والأولاد، ويَحرِص على العمر، يقول النبي ﷺ: (يَهرَم ابنُ آدم وتَشِبُّ منه اثنتان؛ الحرص على المال، والحرص على العمر)(٢)، ولذلك كانت النفس بحاجة إلى تهذيب وتزكية حتى لا يشغله حرصه على جمع المال عن العمل للنعيم المقيم في الجنة، قال جل وعلا: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وأمّا الكافر المُستغرِق في النعيم، فقد ألهاه التلهي بالدنيا عن تذكُّر الموت، وأن أمله في الدنيا سوف يَنقطِع به، وأن مسكنه الذي سوف يؤول إليه

(١) رواه البخاري معلقاً، في كتاب تفسير القرآن الكريم، سورة ألهاكم (١٧٦/٦) .

(٢) رواه مسلم (١٠٤٧) (٧٢٤/٢) كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا؛ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

هو القبر، جاعلاً همه التكاثر في الأموال والأولاد والنعيم، لدرجة جعلته وكأنه أنكر الموت والبعث؛ يقول النبي ﷺ: (لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على مَن تاب)[١]. وهكذا يُكثِر من التلهي لدرجة أنه يَضحى عنده كلُّ ما ليس بمشاهَدٍ مُنكَرًا، وكل ما هو مادي معروفًا، فيُنكِر الغيب والبعث والحساب والجنة والنار، ويؤمِن بالمادة، ويَلهَث وراءها حتى يُفاجأ بالحقيقة، ويرى أن ما كان يَلهَث وراءه ليس إلا سرابًا! ! ، وذلك عندما يأتيه الموت على غير موعد ولا استعداد، فتنتهي كل لذَّاته دفعة واحدة، وتنتهي كل مكتسباته في ثانية واحدة.

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: أي شغلكم على وجه لا تعتذرون فيه، فإن الإلهاء عن الشيء هو الاشتغال عنه. . . وقوله: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ أبلغ في الذم مما لو قال: شغلكم، فإن العامل قد يستعمل جوارحه بما يعمل وقلبه غير لاهٍ به، فاللهو هو ذهول وإعراض، والتكاثر تفاعل؛ من الكثرة، أي: مكاثرة بعضكم لبعض وأعرض عن ذكر المتكاثر به إرادة لإطلاقه وعمومه وأن كل ما يكاثر به العبد غيره سوى طاعة الله ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده فهو داخل في هذا التكاثر فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رياسة أو نسوة أو حديث أو علم ولا سيما إذا لم يحتج إليه والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٣٩) (٨/٩٣) كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، ومسلم (١٠٤٨) (٢/٧٢٥) كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً.

(٢) انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية (ص٣٠، ٣١) .

يقول تعالى موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ عن ذلك المذكور ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ وليس كل تكاثر مذموم، فالله تعالى لم يذم الكثرة بإطلاق، ففي الصحابة أغنياء وفي الأنبياء– قبل ذلك –ملوك لايداني ملكهم أحد، وإنما ذم الله التكاثر الذي سببه الفخر والكبر، وأثره الإلهاء والاشغال، ويحمل على الأشر والبطر ونسيان الشكر. ولم يذكر الله تعالى ما الشيء الذي يتكاثر به العباد؟ ، ليشمل كل شيء يتكاثر به العباد وأن كل ما يكاثر به العبد غيره–سوى طاعة الله ورسوله، وما يعود عليه بنفع معاده– فهو داخل في هذا التكاثر. فالتكاثر في كل شيء: من مالٍ أوجاهٍ أو رياسةٍ، او نسوةٍ او حديثٍ أو علمٍ – ولاسيما إذا لم يحتج إليه– والتكاثر في الكتب، والتصانيف وكثرة المسائل، وتفريعها وتوليدها، وقل مثل ذلك في التكاثر في عصرنا بكثرة المراكب، والأسهم والعقارات(١).

ومن فوائد تَرْكِ ذكر المُتَكاثر به: الإشارة إلى أن التكاثر في حد ذاته مذموم يُنافي التقوى، والذي مِن معانيها: القناعة بالقليل، والرضا بما قسم الله للعباد.

وهذا لا يعني أن جمع المال أو التجارة أمرٌ مذموم بإطلاق، فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]؛ أي: ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقًا من ربكم بالربح من التجارة،

(١) ينظر: ثلاثون مجلساً في التدبر مجالس علمية وإيمانية، إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، (ص١٥٨) .

وإنما المذموم الانشغال بذلك عن ذكر الله، لذلك امتدح الله – عز وجل – أهل طاعته وذكرِه، الذين لا تشغلهم الدنيا والتجارة عن الطاعة والذِّكر؛ قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٧].

إنّما اللومُ والتوبيخ والذمُّ حينما يكون المال والجاه والدنيا مَدْعَاةً للعبد أن يَلهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام، وعن ذكرِ الله تعالى، وعن الواجبات والمندوبات، مما يتعلق بالقلب؛ كالعِلم والتفكُّر والاعتبار؛ كما بيَّن الله ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩].

والخطاب في الآية لجميع الأمة، إلا أنه يدخل فيه المشركون والفاسقون الذين آثروا الدنيا على الآخرة دخولاً أوَّليًّا، ثم سائر من انشغل عن الدار الباقية بأمور هذه الدار الفانية.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي: حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ)[(١)]. وفي رواية: (قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب العيش، والمال)[(٢)].

فطول الأمل ينسي الآخرة، ويجعل الإنسان مسلوب الهمة والإرادة، فتراه لاهياً متناسياً لهادم اللذات، فتفتر همته لطلب معالي الأمور، ويصبح راكناً

(١) رواه البخاري (٦٤٢٠) (٨/٨٩) كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر.

(٢) رواه مسلم (١٠٤٦) (٢/٧٢٤) كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا.

للدنيا وزينتها، حتى لا يكون له هم سواها؛ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦]، ومعنى ذلك أن الإنسان يتمنى أن يعيش ألف سنة، ويطول عمره، وهذا الطول في عمره لا يزحزحه عن العذاب.

يقول ابن عاشور – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: «والمراد من الناس في الظاهر جميع الناس، أي: جميع البشر، فهم أحرصهم على الحياة، فإن الحرص على الحياة غريزة في الناس، إلا أن الناس فيه متفاوتون قوة وكيفية وأسبابا، وقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ بيان لأحرصيتهم على الحياة، وتحقيق لعموم النوعية في الحياة المنكرة لدفع توهم أن الحرص لا يبلغ بهم مبلغ الطمع في الحياة البالغة لمدة ألف سنة، فإنها مع تعذرها لو تمت لهم كانت حياة خسف وأرذل عيش يظن بهم أن لا يبلغ حبهم الحياة إلى تمنيها»(١).

قال الشنقيطي – رحمه الله –: «معنى الآية: أن أحد المذكورين يتمنى أن يعيش ألف سنة، وطول عمره لا يزحزحه، أي: لا يبعده عن العذاب. . . وهذه هي أعظم آية في إزالة الداء العضال الذي هو طول الأمل. كفانا الله والمؤمنين شره»(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١/٦١٧، ٦١٨) .

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م (١/٤١، ٤٢) .

فطول الأمل سبب لدنو الهمة، وكثير من الناس يخدعه الشيطان فيصور لأحدهم أن أمامه عمراً طويلاً، وسنينًا متعاقبة، يبني فيها آمالاً كثيرة، فيجمع أمره لمواجهة هذه السنين، معتمداً على هذه الآمال الباطلة الغائبة، وينسى الآخرة؛ يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [الشعراء: ٢٠٥ – ٢٠٨]، وهذه رسالة عظيمة من الله تعالى لكل من طال أمله وضعفت همته فتعلق بالدنيا ونعيمها، بأن هذا النعيم والتمتع سيزول، ولن ينفع العبد إلا ما قدم من عمل الصالحات والطاعات.

واللهو الذي اتصف به أهل عصرنا، فانشغلوا به عن الدين، وعن الآخرة بأنواع من الملهيات، فهذا اللهو إن كان بقصد، فإن الإنسان مؤاخذ عليه ومحاسب، وإن كان بغير قصد، فإن صاحبه معذور، وهو نوع من النسيان، كما حصل للنبي ﷺ فيما أخبر به من قوله: (فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي)[1] لذلك اللباس الذي أُهدي إليه فلبسه، وله أعلام.

وهذا اللهو الذي يكون بقصد يفعله كثير من الناس، وهو الذي ذكرنا الله بالابتعاد عنه بقوله في تلك الصورة العظيمة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، هذا التكاثر المذموم الذي يشغل عن طاعة الله ويلهي عن ذكره.

(١) رواه البخاري (٣٧٣) (٨٤/١) كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، ومسلم (٥٥٦) (٣٩١/١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام.

المطلب الثاني: المصير الحتمي

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ٢]، قال الإمام الطبري – رحمه الله –: (وقوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا)[1].

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله –: (﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ أي: حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال. وقال قتادة: إن التكاثر: التفاخر بالقبائل والعشائر. وقال الضحاك: ألهاكم التشاغل بالمعاش. وقال مقاتل وقتادة أيضا وغيرهما: نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا. وقال الكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسيادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حي منهم: نحن أكثر سيدا، وأعز عزيزا، وأعظم نفرا، وأكثر قائدا، فكثر بنو عبد مناف بني سهم، ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهم، فنزلت: ألهاكم التكاثر فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالأموات. وقيل: نزلت في حيين من الأنصار.

والمقابر: جمع مقبرة بفتح الباء وضمها. وفي الآية دليل على أن الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة من الخصال المذمومة)[2].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/٥٨٠) .

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد، الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم =

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾: فيه إشارة إلى منتهى ما يجمعه الإنسانُ في هذه الدنيا من متاع، فمهما جمع فلن يأخذ مما جمعه شيئًا، وذلك حين يَرِد على القبر ليعيش فيه الحياة البرزخية، ثم يَنتقِل بعدها إلى الآخرة، فالناس في شُغلهم بالدنيا: إما مؤمن، وإما كافر؛ فالكافر يُنكِر حقيقةَ البعث والحساب، والقرآن الكريم يذكُر هذا الصِّنف من الناس بأن الإيمان بالغيب وإن لم يتحقَّق في قلوبهم في الدنيا، فإنه يضحى يقينًا جازمًا حال سكرات الموت، تلك اللحظة التي تَهدِم عليهم حياتهم وملذَّاتهم ونعيمهم، ثم ليزدادوا يقينًا بالغيب عندما يُبعَثون من القبر، وما يدخل في قلبوهم في ذلك الوقت من يقين بالغيب والبعث والحساب لا يعني دخول الإيمان في قلوبهم؛ فقد انتهى الابتلاءُ في الدنيا، ولا ينفعهم إيمانٌ بعد؛ لأن ما علِموه يقينًا في دار الآخرة هو ما أنكروه في دار الدنيا، عندئذ يُوقِنون أنهم إلى الجحيم فيرونه بأعينهم، حيث يرون جهنم، ويعلمون أن مصيرهم إليها، ولكن قبل هذا المصير يتعيَّن السؤال والحساب، فيُنصَب الميزان؛ ليُجازى كلُّ امرئ بما عمِل.

وأما المؤمن فإن السورة تُذكِّره كذلك، وتُحذِّره مَن أن يَنشغِل ببعض أمور الدنيا فيُقصِّر في بعض الطاعات؛ لكنه ولأنه مؤمن فإنه حالما يزور القبور، فإنه يتذكَّر الموتَ؛ يقول النبي ﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها)[1]، لعل الموت يكون له واعظًا؛ ذلك أنه يزورها الآن ولا يزال على قيد الحياة، قبل أن

= الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ (٥٩٧/٥) .

(١) رواه مسلم (١٩٧٧) (١٥٦٣/٣) كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء.

يزورها وهو ميت، فلعله بزيارته لها يَزهَد في الدنيا، ولا يَنشغِل بها عن الآخرة، ويقول ﷺ: (زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة)(١)، فالموت هو الحق الذي لا يُنكِره أحد، فمهما اختلف الناس في المعتقدات، فإنهم يُجمعون على حقيقة واحدة، ألا وهي أن مصيرهم في الدنيا إلى الموت والفناء، وليس هناك أحد من البشر يَزعُم أنه خالد فيها، ولا يستطيع إلا أن يعترف بهذه الحقيقة، يقول – سبحانه : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق: ١٩]، فذِكْر الموت يَقطَع على المرء أمله في الدنيا؛ فعن مطرف، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ قال: (يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك، يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟)(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يقولُ العبد: مالي! مالي! وإنما ماله ثلاث: ما أكَلَ فأفْنى، أو لَبِسَ فأبلى، أو تصدَّق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركُه للناس)(٣).

ولا يمكن أنْ تخرج الأموال التي بأيدينا عن هذه القسمة الرباعية، إمَّا أنْ ننفقها – في أوجه الإنفاق المختلفة – فتفنى، وإمَّا أنْ نلبسها فتبلى، وإمَّا أنْ نتصدَّقَ بها فنُمضيها وتكونَ أمامنا يوم القيامة. وإمَّا أنْ نتركها لغيرنا.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٥٦٩) (١/٥٠٠) كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٧٧) (١/٦٦٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨) (٤/٢٢٧٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٩) (٤/٢٢٧٣) كتاب الزهد والرقائق.

﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾: واستمر لهْوُكم وغفلتكم وتشاغلكم حتى أدرككم الموت على تلك الحالة، وقد ضاعت الأعمار فيما لا يجدي، فمُتُّم ولحقتم بالقبور زُوَّارًا، ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار؛ فإن الزائرَ لا بدَّ أن يرجع إلى وطنه، والقبور ليست بدار إقامة؛ لأن الوجود فيها مؤقت، ولذلك يُذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، فقال: واللهِ ما الزائر بمُقيم، والله لنُبعثَنَّ[(١)].

ومن باطل القول أن يقال إذا مات الإنسان: (انتقل إلى مثواه الأخير)؛ لأن المثوى الأخير يكون في القيامة إما إلى الجنة وإما إلى النار، والقبور ليست المثوى الأخير، بل حاصل هذه المقولة – لمن اعتقد معناها – هو إنكار البعث والعياذ بالله تعالى[(٢)].

والتعبير بصيغة الماضي في ﴿زُرْتُمُ﴾ لتنزيل المستقبل منزلة الماضي؛ لأنه محقَّق وقوعُه؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

والإنسان مجبول على التكاثُر إلى أن يَموت؛ كلما ازداد به الكِبر ازداد به الأمل، فعن أنس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (يَهرم ابن آدم وتبقى منه اثنان: الحِرص، والأمل)[(٣)].

---

(١) تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م (ص ٣٠٣) .

(٢) ينظر: تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين (ص ٣٠٣) .

(٣) رواه أحمد (١٢١٤٢) (١٨٩/١٩) وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط =

المطلب الثالث: زجر وردع ووعيد

قوله: ﴿ كَلَّا ﴾ في المواضع الثلاثة فيه قولان:

أحدهما: أَنَّ معناه الرّدع والزجر عن التكاثر، فيحسن الوقف عليه والابتداءِ بما بعده. والثاني: أَنه يجرى مجرى القَسَم، ومعناه: حقًّا[1].

وقوله: ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبعده: ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ تكرار للتأْكيد عند بعضهم، وعند بعضهم: هما في وقتين: في القبر، والقيامة، فلا يكون تكرارًا، وكذلك قول من قال: الأَول للكفَّار، والثاني للمؤمنين[2].

قوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ تأْكيد أَيضًا، وقيل: الأَوّل قبل الدّخول، والثاني بعد الدّخول، ولهذا قال بعده: ﴿ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: عِيانًا، لستم عنها بغائبين. وقيل: الأَوّل من رؤية العَيْن، والثاني من رؤية القلب[3]، فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية، ولهذا توعدهم

= الشيخين» ، ورواه النسائي في السنن الكبرى (١١٧٦٥) (٣٧٨/١٠) في كتاب الرقائق، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٨١٧٣) (١٣٥٨/٢) .

(١) انظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة (ص ٢٥٤) ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (٥٤٠/١) .

(٢) المرجعين السابقين، في نفس الموضعين منهما.

(٣) أسرار التكرار في القرآن (ص ٢٥٤) ، وبصائر ذوي التمييز (٥٤١/١) .

بقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ ﴾ [التكاثر: ٣ – ٥] أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة(١).

وفي هذه الآيات أسلوب زجْر وردْع عن التغافل عن الآخرة، والانشغال بما يَفنى عما يبقى ولا يفنى، وإيثار الدنيا على الآخرة؛ فعن النبي ﷺ قال: (يا أُمَّة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيرًا ولضحِكتُم قليلاً)(٢).

فهناك علاقة بين الإيمان بالغيب والزهد في الدنيا، ذلك أن الإيمان بالغيب هو ذلك العِلم القلبي الذي لا استعانة فيه بالحواس المادية، وذلك هو مَفرق الطريق بين المؤمن والكافر؛ فالمؤمن الذي يُوقِن بالغيب يزداد إيمانًا بالآخرة، وإقبالاً على الطاعات، وبُعدًا عن المحرمات، حتى إنه لشدة إقباله على الآخرة – لما علِمه مما أعدَّه الله له في الآخرة، وما أعدَّه للكافر يوم القيامة – يزهد في طلب المباحات من زينة الدنيا؛ فعن قتادة قال: سمعت أبا عثمان، يقول: أتانا كتاب عمر ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد: «أما بعد، فاتزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وارموا بالخفاف، واقطعوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعُّم وزي العجم، وعليكم بالشمس فإنها حَمَّام العرب، واخشوشنوا واخلولقوا وارموا الأغراض»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٩٣٣) .

(٢) رواه البخاري (٦٦٣١) (١٢٩/٨) كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٥٤٥٤) (٢٦٨/١٢) ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٧٣٨) (٢٥/١٠) ؛ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، =

قال المناوي – رحمه الله –: «واخشوشنوا: أمر من الخشونة أي: البسوا الخشن لا الحسن، واطرحوا ذي العجمة، وتنعمهم، وإيثارهم لين العيش. . . وقد أجمع العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك التنعُّم.

قال الغزالي – رحمه الله –: التزين بالمباح غير حرام، لكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يَشُقَّ تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي، من المداهنة، ومراعاة الخلق، فالحزم اجتناب ذلك»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ ردع وزجرٌ لهم عن التكاثر وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد[(٢)]، والمعنى: كفُّوا عما أنتم عليه من التكاثر.

ومعنى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف تعلمون عاقبة التكاثر – الذي ألهاكم عن قبول دعوة الإسلام، أو ألهاكم عن الازدياد من العمل الصالح والبعد عن المعاصي والمحرمات – عند نزول الموت ودخول القبور، فحينها لا ينفعكم بعد رحمة الله إلا العمل الصالح، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال

= تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: «إسناده صحيح على شرط مسلم» .

(١) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ (٢٦٨/٣) .

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٥٩٧/٥) .

رسول الله ﷺ: (يتبع الميت ثلاث: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد يرجع أهله وماله، ويبقى عمله)[١].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ أي: ثم احذروا، فسوف تعلمون سوء عاقبة انشغالِكم عن الله واليوم الآخر، وذلك إذا رجعتم إلى الدار الآخرة في يوم القيامة، وفي ذلك إشارة إلى أن الله تعالى يَكشِف الغيبَ للناس يوم البعث، فلفظ (ثُم) أفاد التراخي والتعقيب عن العِلْم الأول، والذي كان في الدنيا، بأن ثمة علمًا آخر – كذلك – سوف يَعلمه المرء لم يكن يعلَمُه من قبل، وهنا تأتِي مرحلة أخرى من العلم، وهي العلم بعد البعث، فيَكشِف الله تعالى للناس ما غاب عن أبصارهم في الدنيا من أمور الآخرة التي أنكرها بعضُهم، وآمن بها مؤمنهم؛ قال – سبحانه –: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[ق: ٢١، ٢٢].

قال الإمام البغوي – رحمه الله –: (﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ قال الحسن ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد، والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقال الضحاك ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: يعني الكفار، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ يعني: المؤمنين، وكان يقرأ الأولى بالياء، والثانية بالتاء)[٢].

(١) رواه أحمد (١٢٠٨٠) (١٣٥/١٩) وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» ، ورواه الترمذي (٢٣٧٩) (٥٨٩/٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» .
(٢) تفسير البغوي (٢٩٩/٥) .

وفي تكرار قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ وجهان:

- الوجه الأول: أنَّ معنى الآيتين واحد، وكُرِّرت تأكيداً للردع والزجر والإنذار، والمرادُ منه: التحذيرُ من هذا التكاثر، فهو وعيدٌ بَعْد وعيد، والعربُ إذا أرادت التغليظ والزيادة في التخويف والزجر والتهديد كَرَّرتْ الكلمة.
- الوجه الثاني: أنَّ معناهما مختلف، لما روي عن علي من أنَّ العلمَ في الآية الأولى: في القبر، أي: تعلمون عاقبة هذا التكاثرِ في القبر – حين سؤال منكر ونكير: مَنْ ربُّك؟ وما دينك؟ ومن نبيُّك؟ –، والعلمُ في الآية الثانية: يوم القيامة، أي: تعلمون عاقبة هذا التكاثر يوم القيامة. وقيل: العلم الأول: عند نزول الموت، أي: عند الاحتضار، والعلم الثاني: في القبر(١).

وعلى كِلا المعنيين لا تكرار في الآية؛ لاختلاف معناهما.

وهذا الرأي أقوى وأرجح؛ لأن جعلَ المعنيين مختلفين أولى من القول بمجيئهما لمجرد التأكيد؛ وذلك لما يكون في كل منهما من فائدة جديدة، واختلاف زمن العلمين في الآيتين مطابق للواقع؛ فإن المحتضَر يعلم منزله عند الاحتضار، ثم إذا قُبر عَلِم علماً يقينيًا فوق العلم الأول.

ثم قال: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ ﴾ أعيد الزجر ثالثَ مرةٍ زيادة في إبطال ما هم عليه من اللهو عن التدبر في أقوال القرآن لعلهم يقلعون عن انكبابهم

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٤/٤٨٦) .

على التكاثر مما هم يتكاثرون فيه، ولهوهم به عن النظر في دعوة الحق والتوحيد، وحذف مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ للوجه الذي تقدم في ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف، وجملة: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ ﴾ تهويل وإزعاج لأن حذف جواب ﴿لَوْ﴾ يجعل النفوس تذهب في تقديره كلَّ مذهب مُمكن. والمعنى: لو تعلمون علم اليقين لتبيَّن لكم حالٌ مفظع عظيم، وهي بيان لما في ﴿ كَلَّا ﴾ من الزجر(١).

وجواب (لو) محذوف للتَّهويل. والتقدير: لو أنَّكم تعلمون ما يكون أمامكم بعد الموت من البعث والحساب في الآخرة علمَ اليقين – وهو العلم الذي لا يخالطه شك، أي: علماً يصل إلى قلوبكم – لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة المنْجية، ولكنَّكم لما افتقدتم علم اليقين وعشتم في غفلة، وُجد منكم هذا التكاثر الذي ألهاكم وأشغلكم إلى أن مُتُّم، وهذا المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام: (يا أُمَّة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيرًا ولضحِكتُم قليلاً)(٢).

وفائدة علم اليقين: لأنَّ مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عاقبته لا يكفي في تركه، لكنْ إذا صار العلم بقبح الشيء علم اليقين كان الداعي لتركه قوياً، فإذا صار علمه عين اليقين أي: يشاهده بعينه كان الداعي لتركه أشد وأقوى.

قوله – سبحانه –: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –:

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/٥٢١، ٥٢٢) .

(٢) رواه البخاري (٦٦٣١) (٨/١٢٩) كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(ثم قال: {لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين} هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: {كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون} توعدهم بهذا الحال، وهي رؤية النار التي إذا زفرت زفرة خر كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال)[1].

وعن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد. لو علمتم ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم على، أو إلى، الصعدات تجأرون إلى الله) قال: فقال أبو ذر ﷺ: «والله لوددت أني شجرة تعضد»[2].

والمتأمِّل في هذا الحديث، يجد أن الخوف عند النبي ﷺ كان كبيرًا، وإذا كان هذا هو حال المعصوم ﷺ فما الذي ينبغي أن يكون عليه حال سائر العباد؟ وهذا الخوف لن ينتهي بالمؤمنين حتى يدخلوا الجنَّة؛ يقول النبي ﷺ: (يؤتى

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٤٧٤) .

(٢) رواه أحمد (٢١٥١٦) (٣٥/٤٠٥، ٤٠٦) وقال محققو المسند: «حسن لغيره» ، ورواه الترمذي (٢٣١٢) (٤/٥٥٦) في الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا» ، وقال: «هذا حديث حسن غريب» ، وابن ماجه (٤١٩٠) (٢/١٤٠٢) كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢٤٤٩) (١/٤٨١) . ومعنى (أطت) : الأطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتهم وحنينها، أي إن كتره ما فيها من المرئكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. و(الصعدات) : الطرق، جمع صعد، و (تجأرون) أي: ترفعون أصواتكم وتستغيثون.

بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زِمام، مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يجرونها)[١].

هذا المشهد يَقذِف الرُّعبَ في قلوب العباد يوم القيامة، حتى الأنبياء والصالحين، يقول النبي ﷺ: (ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم)[٢].

ورؤية الجحيم حَقٌّ على العباد في الحياة البرزخيَّة، وفي الحياة الآخرة أيضًا، ولعل المقصود في هذا السياق رؤيتهم لها في القبر قبل رؤيتهم لها في الآخرة، وقد تأكَّدت الرؤية في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾، أما رؤية الجحيم في القبر فهي رؤية حقيقية تكون في الحياة البرزخيَّة، وإن كانت على وجه الحقيقة من حيث العذاب، لكنه ليس نفس العذاب المُدَّخر لأهل النار يوم القيامة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: (يعذبان، وما يعذبان في كبير) ثم قال: (بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة). . . إلخ الحديث[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢) (٤/٢١٨٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين.

(٢) رواه البخاري (٨٠٦) (١/١٦٠) كتاب الأذان، باب فضل السجود، ومسلم (٢٩٩) (١/١٦٣) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٣) رواه البخاري (٢١٦) (١/٥٣) كتاب الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، ومسلم (٢٩٢) (١/٢٤٠) كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

﴿ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، فالنار التي يعرضون عليها غدواً وعشياً، هي عذاب القبر والبرزخ، ثم يوم القيامة يردون إلى العذاب الأكبر، والعذاب الأشد، وهو عذاب النار– والعياذ بالله تعالى.

ودَلالة ذلك أن يَقترِب يقينُ العبد إلى ما بعد الموت مباشرة؛ حتى يُقبِل على الآخرة بشغف شديد، مِثل صاحب التمرات لما أيقن أنه لو مات لرأى الجنة، فقال: بخ بخ، إنها لحياة طويلة، فلم يَصبِر على أكل التمرات، حتى جاهد في سبيل الله، فقُتِل، فدخل الجنة؛ فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (قوموا إلى جنَّة عَرْضها السموات والأرض)، قال عمير بن الحمام الأنصاري ﷺ: يا رسول الله، عَرْضها السموات والأرض؟! قال: (نعم)، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قولك بخ بخ؟) قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: (فإنك من أهلها)، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[1]. وكذلك الحال لو علِم العبدُ أنه بمعصية ربه سوف يُعذَّب بالنار مباشرة لو مات، لازداد تقوى ورفض أن يعصي ربه وقد تَصوَّر هلاكه بعد المعصية، فرؤية الجحيم بالقلب والفؤاد في الدنيا – بما يَصِل به العبد إلى مرحلة عِلْم اليقين – تَحول دون رؤيته في الحياة البرزخية، لكنها لا تحول دون رؤيته في الدار الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ هي جملة قسمية، فيها قسم مقدر

(١) رواه مسلم (١٩٠١) (١٥٠٩/٣) كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

والتقدير: والله لترون الجحيم، ولهذا يقول المعربون في إعرابها: إن اللام موطئة للقسم، وجملة «ترون» هي جواب القسم، والقسم محذوف والتقدير «والله لترون الجحيم».

وجملة ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ جملة مستقلة مستأنفة وليست جوابا لـ «لو» في الآية السابقة؛ ولهذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾ ولا يجوز وصلها بما بعدها لسببين:

الأول: لأنه يفسد المعنى؛ وذلك أنه إذا وصل فقال: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ صارت رؤية الجحيم مشروطة بعلمهم، فإنْ هم علموا علم اليقين رأوا الجحيم، وإنْ لم يعلموا علم اليقين لم يروا الجحيم! ! ، بينما الحاصل أنهم لم يعلموا علم اليقين، فوجب أن لا تحصل لهم تلك الرؤية، وهذا المعنى ليس بصحيح؛ لأن هذه الرؤية واقعة قطعاً.

الثاني: لأنها رأس آية، والمشروع أن يقف الإنسان عند رأس كل آية، فالوصل هنا غير جائز، ولذا وجب التنبُّه لذلك، والتنبيهُ عليه[1].

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾: هذا تفسير الوعيد المتقدِّم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾ فخوَّفهم وتوعَّدهم ببعض ما ينتهي إليه هذا اللهو، وهو عذاب الآخرة بعد خزْي الدنيا، و(الجحيم) اسمٌ من أسماء النار، يؤتى بها تُجرُّ بسبعين ألف زمام، وفي كل زمام سبعونَ ألف ملَك.

والمراد: والله لترونَّ الجحيم رؤيةً بصريةً، وسوف تُشاهدون النار وهي نار

(١) ينظر: تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين (ص٣٠٤، ٣٠٥) .

كبيرة عظيمة، وتُعاينون النار والعذاب يَقينًا، وتكون تلك الرؤية عندما يتكشَّف الحال في القبر، عند أول البعث، وعند الورود على النار؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: ٧١].

ثم أكَّد الله جل وعلا هذه الرؤية، وبين أنها واقعة لا محالةَ، يقيناً لا شك فيه، فقال: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾: هذا تكرار للقسم، وهو تأكيد لرؤية جهنَّم رأي العين بما يَصِل معه العبد إلى مرتبة عين اليقين، فلا يَكذِب أحد في رؤيتها أبدًا، وهذه الرؤية هي الرؤية الثانية، وتكون على وجه الحقيقة؛ لقوله ﷺ: (يَرِد الناسُ النارَ، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأوَّلهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشدِّ الرجل، ثم كمشيه)[1]، وعن أم مبشر أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النارَ إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها)، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها! فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي ﷺ: (قد قال الله – عز وجل –: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢])[2].

والخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قيل: إنه للكفار

(١) رواه الترمذي (٣١٥٩) (٣١٧/٥) أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٨٠٨١) (١٣٤٣/٢) .

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦) (١٩٤٢/٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم.

الذين وجَبتْ لهم النار، وقيل: هو عام للعالم كله، فتكون النار للكفار دار قرار، وللمؤمنين مجرد ممر(١).

وعن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: الصراط على جهنم مِثل حدِّ السيف، فتَمر الطائفةُ الأولى كالبَرْق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يَمرُّون والملائكة تقول: رب سلِّم سلِّم(٢).

والعِلَّة من ذلك هي اكتمال الإيمان ببلوغ مرحلة اليقين، واستشعار الفضل؛ يقول النبي ﷺ: (لا يدخل أحدٌ الجنة إلا أُري مقعدَه من النار لو أساء؛ ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن؛ ليكون عليه حسرة)(٣).

وعليه؛ فلا إشكال أن يكون المقصود بالرؤية هو الثانية أم البرزخيَّة؛ لأن كليهما حاصل، ولا إشكال أن يكون المقصود كذلك هو التأكيد لهذه الرؤية، و(ثم) تفيد التراخي حقيقة، بمعنى أن ثمة رؤيا برزخيَّة، ورؤيا يوم العَرْض.

والدَّلالة القرآنيَّة المستفادة من هذه الآيات هي انشغالُ المسلم بهموم الآخرة؛ فالأمر ليس مجرد النجاة من النار فحسب، فقد ينجو المرء من النار،

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١١/١٣٨، ١٣٩) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٤٢٣) (٢/٤٠٧) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري (٦٥٦٩) (٨/١١٧) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولكنه يَفزَع من رؤيتها يوم القيامة، فبقدر فزَعِه منها في الدنيا يَنشغِل بالطاعات والحسنات، ليطمئنَّ يوم القيامة ولا يخاف، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النمل: ٨٩]، والانشغال بالآخرة ليس معناه ترْك العمل والكسب، وإنما معناه السعي للكسب، لا لأجل تحصيل متعة زائدة في الدنيا، وإنما لأجل شراء الدار الآخرة.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ ومتى يرى الناس الجحيم عين اليقين؟ الجواب: يرونها يوم القيامة؛ لأن الصراط الذي يمر الناس عليه يوضع على متن جهنم فتتحقق رؤية العين – وليس الخبر كالمعاينة – قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: ٧١] فالمؤمن وارد والكافر خالد.

ويُلْحظ عند قراءة سورة التكاثر أنه كرر (كلا) ثلاث مرات، وفي تكرارها مزيدُ زجر ووعيد وتهديد؛ حتى تتنبَّه لحالك، وتستيقظ من غفلتك، ولا يغرنَّك كثرة الغافلين حولك؛ فإنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك.

ويُلْحظ كذلك أنه قد تكرر في هذه السورة ذِكْر اليقين، فذَكَر علم اليقين، ثم ذكر عين اليقين، وبقي ثالث لم يُذكر هنا وهو: حق اليقين. وهذه الثلاثة تسمى: مراتب العلم أو مراتب اليقين، وإليك بيانها باختصار لكثرة ورودها في القرآن:

اليقين ثلاثُ مراتب:

المرتبة الأولى: علم اليقين، وهي أدنى مراتب اليقين، وهي العلم الذي

يحصل للقلب بواسطة الدلائل والقرائن والبراهين؛ كأن ترى دخاناً فتعلمَ علمَ اليقين أنَّ هناك ناراً.

المرتبة الثانية: عين اليقين، وهي المرتبة الوسطى، وهي العلم الذي يحصل للقلب بواسطة الرؤية والمشاهدة بالعين، كأنْ تقترب من تلك النار التي كان يلوح لك دخانها فتراها بعينك، وحينها يكون انتقل علمُك من علم اليقين إلى عين اليقين، ومنه قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾، واعلم أن بين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة، فعلم اليقين للسمع، وعين اليقين للبصر.

المرتبة الثالثة: حق اليقين وهي أعلى درجات اليقين، وهي العلم الذي يصل إلى القلب بواسطة ملابسة الشيء ومخالطته، أي: مباشرة الشيء، وملامسته، والدخول فيه، والإحساس به، كأنْ تقترب من تلك النار حتى تجد حرَّها في جسدك، ومنه قوله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة: ٥١]؛ لأن القلب يباشر الإيمان به ويخالطه – كما يباشِر بالحواس ما يتعلق بها – فحينئذٍ يُخالط بشاشتَه القلوب، فتصلُ مرتبةُ اليقين به إلى أقوى مدى لها، وهي: حق اليقين، وهي أعلى مراتب الإيمان(١).

وبهذا تعرف لم قال في هذه السورة: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾، ولمَ قال: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ وذلك أنَّ علمنا بوجود النار في الآخرة هو

(١) ينظر في مراتب اليقين: التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ (ص ٢٨٤– ١٨٦) .

علم اليقين، ومشاهدتها في القبر أو يوم القيامة هو عين اليقين، أما من دخلها – والعياذ بالله – صار علمها بالنسبة له حق اليقين.

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله –: (ثم لترونها عين اليقين أي: ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين، وهي المشاهدة والمعاينة، وقيل: المعنى: لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم، ثم لترونها مشاهدة على القرب. وقيل: المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها، والثاني رؤيتها حال دخولها، وقيل: هو إخبار عن دوام بقائهم في النار، أي: هي رؤية دائمة متصلة. وقيل المعنى: لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم، وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها)[1].

(١) فتح القدير (٥/٥٩٨) .

المطلب الرابع: السؤال والمحاسبة

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال الإمام الطبري – رحمه الله –: (يقول: ثم ليسألنكم الله عزّ وجلّ عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه، من أين وصلتم إليه، وفيم أصبتموه، وماذا عملتم به)[(١)].

(لتسألن عنه من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن طاعة وفي طاعة؟ أم من معصية وفي معصية؟ أمن حلال وفي حلال؟ أم من حرام وفي حرام؟ هل شكرتم؟ هل أديتم؟ هل شاركتم؟ هل استأثرتم؟ «لَتُسْئَلُنَّ» عما تتكاثرون به وتتفاخرون. . فهو عبء تستخفونه في غمرتكم ولهوكم ولكن وراءه ما وراءه من هم ثقيل!)[(٢)].

واختلف العلماء في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ مَن الذي سيسأل؟ الكافر؟ أم كل من المؤمن والكافر؟.

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله –: (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم أي عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن العمل للآخرة. قال قتادة: يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره وأشركوا به. قال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار. وقال قتادة: إن الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه، وهذا هو الظاهر، ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الأفراد، أو نوع من

(١) تفسير الطبري (٢٤/٥٨١) .

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٩٦٣) .

الأنواع لأن تعريفه للجنس أو الاستغراق، ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسؤول على النعمة التي يسأل عنها، فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التي أنعم بها عليه فيم صرفها، وبم عمل فيها؟ ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر، وقيل: السؤال عن الأمن والصحة، وقيل: عن الصحة والفراغ، وقيل: عن الإدراك بالحواس، وقيل: عن ملاذ المأكول والمشروب، وقيل: عن الغداء والعشاء، وقيل: عن بارد الشراب وظلال المساكن، وقيل: عن اعتدال الخلق، وقيل: عن لذة النوم، والأولى العموم كما ذكرنا) [(١)].

والصواب: أن المراد: المؤمن والكافر، فكل منهما يسأل عن النعيم، والدليل على ذلك: الحديث الصحيح في قول النبي ﷺ لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – (والذي نفسي بيديه لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة)[(٢)]. فهذا الحديث الصحيح صريح فى تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار، وأيضاً فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وَأَنَّ الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيراً، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر، وخطاب القرآن عام لمن بلغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله، فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين[(٣)].

---

(١) فتح القدير (٥/٥٩٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٣٨) (٣/١٦٠٩) كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع على الطعام.

(٣) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية =

ولكن السؤال يختلف، فسؤال الله للمؤمن المطيع الشاكر سؤال تقرير وتشريف، وتذكير بنعمة الله عليه حتى يفرح، ويعلم أنَّ الذي أنعم عليه في الدنيا ينعم عليه في الآخرة، وسؤاله للمؤمن العاصي سؤال توبيخ وتأفيف، وسؤال الله للكافر سؤال توبيخ وتنديم وحساب وتقريع؛ لأنه قابل النعيم بالكفر والمعصية، نسأل الله أن يجعلنا من عباده الطائعين الشاكرين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦](١).

والمراد: ثم لتسألنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النَّعيم الذي تنعَّمتُم به في دار الدنيا، هل قمتم بشُكرِه، وأدَّيتُم حق الله فيه، ولم تَستعينوا به على معاصيه؟ فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل؟ أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشُكرِه؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله، فكنتُم بذلك عُرْضَةً للجزاء والعقاب، فيُعاقبكم على ذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

ونعم الله على عباده كثيرة يستحيل حصرها، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن

= السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م (ص ١٩١) .

(١) تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٥٨٢/٢٤) .

كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨]، ومن أمثلة هذه النعم: الأمن، والصحة، والعافية، والفراغ، ولذة النوم، والإدراك بالحواس كالسمع والبصر، وما يَطْعمه الإنسان وما يشربه، وغيرها من الآلاء الكثيرة، وأصل النعم كلِّها وأهمُّها هي نعمة الإسلام والإيمان.

وقد جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)[1]، والمعنى: أنهم مُقصِّرون في شكر هاتين النعمتَين، ولا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مَغبون.

ولو استقصى المولى – سبحانه وتعالى – مع العبد في الحساب لهلك؛ تقول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن النبي ﷺ قال: (مَن نُوقِش الحساب عُذِّب)[2].

ومما يزيد من شدة الحساب والمسائلة: طول يوم القيامة؛ يقول – سبحانه –: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج: ٤].

وها هو عبدالرحمن بن عوف الصحابي الجليل ﷺ الذي أغناه اللهُ تعالى من المال والنعيم، فكان مِن أغنى صحابة رسول الله ﷺ يتخفَّف من السؤال

(١) رواه البخاري (٦٤١٢) (٨/٨٨) كتاب الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٦) (٨/١١١) كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب.

وطول الحساب، فيضع مالَه في سبيل الله تعالى، ويزهد في الدنيا، حتى قال عنه سعد بن الحسن التيمي: «كان عبدالرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده يعني من التواضع في الزي»(١).

عن أبي أمامة بن ثعلبة الأنصاري ﷺ قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: (ألا تسمعون، ألا تسمعون، إنَّ البذاذة من الإيمان، إنَّ البذاذة من الإيمان)(٢).

قال الإمام الخطابي – رحمه الله –: «البذاذة سوء الهيئة والتجوز في الثياب ونحوهما، يقال: رجل باذ الهيئة إذا كان رث الهيئة واللباس»(٣).

إنّ آيات هذه السورة على قصرها، قد عالجت أمراً في غاية الأهمية، وشخصت واقعاً لكثير من الناس، وبينت حالة شغلت البشر قديماً وحديثاً، ونظرة إلى واقع الناس اليوم، وحالهم الآن تعطينا دليلاً أكيداً، وجزماً قاطعاً، بأن سبب كثير من المشاكل والمصائب التي حلت بالمسلمين اليوم – بل وفي غيرهم من المجتمعات – إنما هو التكاثر والتفاخر بالأحساب والأنساب، والأموال والأولاد، والعتاد والقوة، ولو تدبر الجميع هذه الآيات، ووقفوا على

---

(١) أورده ابن أبي الدنيا في كتابه التواضع والخمول، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م (١٤٤) (ص١٨٥) .

(٢) رواه أبو داود (٤١٦١) (٤/٧٥) كتاب الترجل، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢٨٧٩) (١/٥٥٧) .

(٣) معالم السنن، في شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م (٤/٢٠٨) .

تلك الحكم والتوجيهات لما صار حالهم إلى ما صار، ولتبدلت أحوالهم للأجمل والأكمل، وصلحت معظم شؤونهم.

قال ابن القيم –رحمه الله– في خاتمة تفسيره لهذه السورة: (فلله ما أعظمها من سورةٍ وأجلّها، وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظةً وتحذيراً، وأشدّها ترغيبًا في الآخرة، وتزهيدًا في الدنيا، على غاية اختصارها، وجزالة ألفاظها، وحسن نظمها، فتبارك من تكلم بها حقًّا، وبلّغها رسوله عنه وحيًا)[1].

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص ١٩٤).

الخاتمة

النتائج:

أبرز نتائج الدراسة هي:

- **التكاثر المذموم مظهر من مظاهر الترف الذي يؤدي للكبر والغرور.**
- **التكاثر والجمع المذموم للدنيا لا يسعى له إلا من قل عقله وانعدم تبصره.**
- **إضاعة الأوقات في أمور لا تفيد الأمة قد يكون سبباً في انهيارها، ومن ذلك: المكاثرة بالحفلات وغيرها، والتي قد تصل إلى درجة الإلهاء عن الواجبات الدينية والدنيوية.**
- **ضعف الوازع الديني يطلق للنفس عنانها وراء الملذات دون ضوابط.**

التوصيات:

أهم توصيات الدراسة هي:

- **العودة إلى تعاليم الدين الحنيف ومعرفة أن الدنيا جسر عبور للآخرة والقليل من زهرتها يكفي.**
- **محاسبة النفس وتربيتها على استشعار أمور الآخرة.**
- **التربية الصحيحة على القيم والمثل الإسلامية التي تدعو إلى العمل والنظر إلى المال على أنه وسيلة لنيل رضى الله تعالى وليس غاية.**
- **أوصي بوضع برامج ودورات تثقيفية لتنبيه على خطر التكاثر والتفاخر.**
- **كما أوصي بوضع برامج ودورات تثقيفية تنبه على خطر الفقر والاحتياج للناس وأضراره.**

فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة

العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٨- التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٩- التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، طبع: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٠- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٢- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، طبع: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٣-تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤-تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

١٥-تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦-تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، عبد الله محمود شحاتة، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.

١٧-التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٨-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٩-ثلاثون مجلساً في التدبر مجالس علمية وإيمانية، إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢٠-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢١-جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢٢-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢٣-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

٢٤-رسالة شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٥-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٦-زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،

تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٧-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى (لمكتبة المعارف).

٢٨-سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٩-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٣٠-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض، (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣١-السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢-سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣-صحيح أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري، الألباني، طبع: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٣٤-صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري، الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي.

٣٥-صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٦-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٧-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد، الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٨-الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٩-في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٤٠-فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٤١-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٢-لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٣-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٤-المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤٥-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

٤٧-معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٨-معالم السنن، في شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

٤٩-المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

٥٠-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٥١-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١١٥
التمهيد: التعريف بالسورة ١١٨
أسماؤها: ١١٩
سبب النزول: ١٢٠
مناسبتها لما قبلها: ١٢٢
المبحث الأول: التكاثر وأنواعه ١٢٣
المطلب الأول: التكاثر بالأموال ١٢٦
المطلب الثاني: التكاثر بالأولاد ١٣٨
المبحث الثاني: التكاثر ووسائل التواصل الاجتماعي ١٤٢
المبحث الثالث: علاج التكاثر في ضوء السورة الكريمة ١٤٧
المطلب الأول: التحذير من مغبة التكاثر ١٤٧
المطلب الثاني: المصير الحتمي ١٥٤
المطلب الثالث: زجر وردع ووعيد ١٥٨
المطلب الرابع: السؤال والمحاسبة ١٧٣
الخاتمة ١٧٩
فهرس المصادر والمراجع ١٨٠
فهرس الموضوعات ١٨٨